طَمْأَنَةُ الأَنَامِ بِصِحَّةِ دِينِ الإِسْلَامِ

تأليف

علي بن سعيد بن عيسىٰ حاردان

الطبعة الأولىٰ
١٤٤٦ هـ

طَمْأَنَةُ الأَنَامِ بِصِحَّةِ دِينِ الإِسْلَامِ

تأليف

علي بن سعيد بن عيسىٰ حاردان

الطبعة الأولىٰ
١٤٤٦هـ

سلطنة عُمان
وزارة الإعلام

رقم الإيداع: ٨٥٣٦ / ٢٠٢٤

الرقم المعياري الدولي:
٩٧٨-٩٩٩٩٢-٠-٨٤٦-٨

حقوق الطبع متاحة لكل مسلم

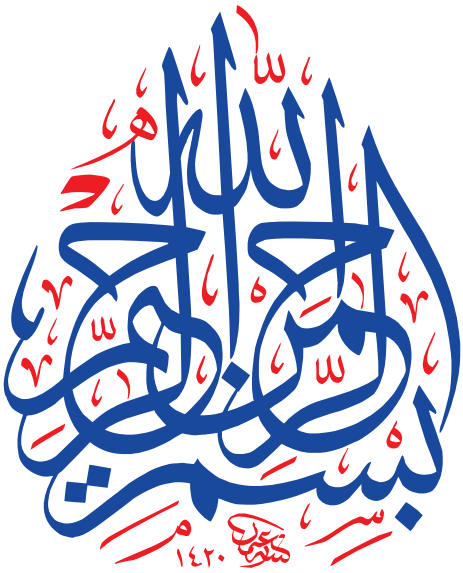
بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

المُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّـهِ ، والحَمدُ للَّـهِ ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَىٰ رَسُولِنَـا مُحمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وصَحبِهِ ومَنْ تَبِعَهُم بِإحسَانٍ إِلَىٰ يَومِ الدِّينِ ، أمَّا بَعدُ :

فهَـٰذَا كِتابٌ اِعتَمَدتُّ فيـهِ عَلَىٰ الأَدِلَّةِ العَقليَّـةِ مِنْ القُرآنِ الكَريمِ ، وصَحيحِ السُّـنَّةِ النَّبَـويَّةِ المُطهَّرةِ ، وأَقوالِ العُلَمَـاءِ المُبسَّـطَةِ التي يَسهُلُ عَلَىٰ القارِئِ فَهمُها بيُسْـرٍ وسُهولَةٍ ، في الإجابَةِ عَلَىٰ تَساؤُلاتٍ كانَت ولا زَالَت مُحَـيِّرةً لِعُقولِ الكَثيرينَ ، وكأنَّ لِسَـانَ حَالِهِم يقُولُ : «نُريدُ أَجوبَةً شَـافِيَـةً لِـمَا يُحَـيِّرُ عُقُـولَنا ، تُطَمئِنُ نُفوسَـنا ، وتُرَسِّـخُ الإيمَـانَ في قُلُوبِنَـا» ، فقُمتُ بجَمعِ أَهَمِّها في هَـٰذَا الكِتَابِ المُختَصَـرِ الذِي يتَكوَّنُ مِنْ ثَلاثَة عَشَـرَ باباً ، لِكُلِّ بابٍ عُنوانٌ يَتناسَبُ مَعَ مَضمُونِهِ ، وبيَّنتُ فيها مَدَىٰ تَوافُقِ النَّقلِ الصَّحيحِ مِنْ القُرآنِ والسُّـنَّةِ مَعَ العَقلِ الصَّريحِ ، وسَـمَّيتُه : «**طَمْأنَةُ الأَنَـامِ بِصحَّةِ دِينِ الإِسْـلَامِ**» ، وقَد اِشْتَقَقتُ الاِسمَ مِنْ قَولِ نَبِيِّ اللَّـهِ إِبْراهِيمَ عليه الصلاة والسلام حِينَمَـا سَـأَلَهُ رَبُّهُ : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ۖ﴾ ، ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ﴾ [1] .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

سـائلاً المَوْلَىٰ عَزَّ وجَلَّ أنْ يَنفَعَ بِهِ الكاتِبَ قَبلَ القارِئِ ، ويَنفَعَ بِهِ المُؤمِنينَ وغَيرَ المُؤمِنينَ ، إنَّه سَميعٌ قَريبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ ، وصَلَّىٰ اللَّـهُ وبارَكَ عَلَىٰ نَبيِّـنا مُحمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وصَحبِهِ وسلَّمَ تَسليماً كَثـيراً .

عَلي بن سَـعيد بن عِيسَىٰ حاردان

١٤ شـوال ١٤٤١هـ

بَابُ إِثْبَاتِ وُجُودِ الخَالِقِ عَزَّ وجَلَّ

قَالَ اللَّهُ تَعالَىٰ : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١) .

وعَن جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ رضي الله عنه ، وكانَ جَاءَ فِي أُسَارَىٰ بَدْرٍ ، قَالَ : سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ يَقرَأُ فِي المَغرِبِ بِالطُّورِ ، فلَمَّا بَلَغَ هَٰذِهِ الآيَةَ : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ» (٢) .

قَالَ ابنُ كَثيرٍ رحمه الله : «وجُبَيرُ بنُ مُطعِمٍ كانَ قَد قَدِمَ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ بَعدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ فِي فِدَاءِ الأُسَارَىٰ ، وكانَ إِذْ ذَاكَ مُشْرِكاً ، وكانَ سَماعُهُ هَٰذِهِ الآيَةَ مِنْ هَٰذِهِ السُّورَةِ مِنْ جُملَةِ ما حَمَلَهُ عَلَىٰ الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ بَعدَ ذَلكَ» .

وقَالَ رحمه الله : «هَٰذَا المَقَامُ فِي إِثْبَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ وتَوحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ ،

---

(١) سورة الطور ، الآيات : ٣٥ ـ ٣٧ .

(٢) «صحيح البخاري» : (٤٨٥٤) .

فقَالَ تَعالَىٰ : ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ ، أي : أَوُجِدُوا مِنْ غَيرِ مُوجِدٍ؟ أَمْ هُم أَوْجَدُوا أَنفُسَهُم؟ أَي : لا هَـٰذَا ولا هَـٰذَا ، بَلِ اللَّـهُ هُو الذِي خَلقَهُم وأَنْشَـأَهُم بعدَ أَنْ لَـمْ يَكُونُوا شَـيْئاً مَذكُوراً» [1] اهـ .

وقَالَ ابنُ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴾ ، وهَـٰذَا اِسْـتِدلالٌ عَلَيهِم ، بِأَمرٍ لَا يُمكِنُهُم فِيهِ إِلَّا التَّسلِيمُ لِلحَقِّ ، أو الخُروجُ عَن مُوجَبِ العَقلِ والدِّينِ ، وبَيانُ ذَلكَ : أَنَّهم مُنكِرُونَ لِتَوحِيدِ اللَّـهِ ، مُكَذِّبُونَ لِرَسُولِهِ ، وذَلِكَ مُستَلزِمٌ لِإنْكَارِ أَنَّ اللَّـهَ خَلقَهُم .

وقَد تَقرَّرَ في العَقلِ مَع الشَّـرعِ ، أَنَّ الأَمْرَ لَا يَخلُـو مِنْ أَحَدِ ثَلاثَةِ أُمُورٍ :

١ ـ إِمَّا أَنَّهم خُلِقُوا مِنْ غَيرِ شَيءٍ أَي : لَا خَالِقَ خَلَقَهُم ، بَلْ وُجِدُوا مِنْ غَيرِ إِيجَادٍ ولَا مُوجِد ، وهَـٰذَا عَينُ المُحَالِ .

٢ ـ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ لِأَنفُسِهِم ، وهَـٰذَا أَيضاً مُحالٌ ، فَإِنَّه لا يُتصَوَّرُ أَنْ يُوجِدَ أَحَدٌ نَفسَهُ .

فإذا بَطَلَ هَـٰذَانِ الأَمْرانِ ، وبَانَ اِستِحالَتُهُمـا ، تَعـيَّنَ القِسمُ الثَّالِثُ :

٣ ـ أَنَّ اللَّـهَ الذِي خَلَقَهُم .

وإِذَا تَعيَّنَ ذَلكَ ، عُلِمَ أَنَّ اللَّـهَ تَعالَىٰ هُوَ المَعـبُودُ وَحدَهُ ، الذِي لا تَنبَغِي العِـبَادَةُ ولَا تَصلُحُ إِلَّا لَه تَعالَىٰ .

---

(١) «تفسير ابن كثير» ، طبعة قرطبة ، (١٣ / ٢٣٨) .

وقولُه تعالىٰ: ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ وهَـٰذَا اِستِفهامٌ يَدُلُّ عَلَىٰ تَقريرِ النَّفي، أَي: مَا خَلَقُوا السَّماوَاتِ والأَرضَ فيَكُونُوا شُـرَكاءَ لِلَّـهِ، وهَـٰذَا أَمرٌ وَاضِحٌ جِـدًّا، ولَكِنَّ المُكَذِّبِينَ ﴿لَّا يُوقِنُونَ﴾، أَي: لَيسَ عِندَهُم عِلمٌ تَامٌّ، ويَقِـينٌ يُوجِبُ لَهم الانتِفَـاعَ بِالأَدِلَّةِ الشَّرعِـيَّةِ والعَقلِـيَّةِ»[1]. اهـ

بَابُ بُطْـلَانِ قَولِ: مَنْ خَلَـقَ اللَّـهَ؟

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «لَنْ يَبْرَحَ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: هَـٰذَا اللَّـهُ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّـهَ»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّىٰ يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْـتَعِذْ بِاللَّـهِ وَلْيَنْـتَهِ»[3].

(١) «تفسير السعدي»، ص: (٨١٦).

(٢) متفق عليه: «صحيح البخاري» (٧٢٩٦)، «صحيح مسلم» (١٣٦).

(٣) متفق عليه: «صحيح البخاري» (٣٢٧٦)، «صحيح مسلم» (١٣٤).

وعَنْهُ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم : «**اللَّـهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**»(١) .

وعَنْ عِمْرَانَ بنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنهما قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وسلم : «**كَانَ اللَّـهُ وَلَـمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ ، وكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ المَـاءِ ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ والأَرْضَ ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**»(٢) .

قَالَ الخَطَّابِيُّ رحمه الله : «لَوْ جَازَ أَنْ يُقَالَ : مَنْ خَلَقَ الخَالِقَ؟ لأَدَّىٰ إِلَىٰ مَا لَا يَتَـنَـاهَىٰ ، وَهُوَ بَاطِلٌ قَطْعـاً»(٣) .

وقَالَ رحمه الله : «قَوْلُهُ : «**مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟**» كَلَامٌ مُتَهَافِتٌ يَنقُضُ آخِرُهُ أَوَّلَهُ ؛ لِأَنَّ الخَالِقَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقـاً ، ثُمَّ لَوْ كَانَ السُّـؤالُ مُتَّجِهاً لَاسْـتَلزَمَ التَّسَلْسُـلَ ، وهُوَ مُحَـالٌ ، وقَدْ أَثْبَتَ العَقْلُ أَنَّ المُحْدَثَاتِ مُفْتَـقِرَةٌ إِلَىٰ مُحْدِثٍ ، فَلَوْ كَانَ هُوَ مُفْتَـقِرٌ إِلَىٰ مُحْدِثٍ لَكَانَ مِنْ المُحْدَثَاتِ»(٤) . اهـ

---

(١) «صحيح مسلم» : (٢٧١٣) .

(٢) «صحيح البخاري» : (٧٤١٨) .

(٣) «مرقاة المفاتيح» ، طبعة العلمية ، (١ / ٢٢٧) .

(٤) «فتح الباري» لابن حجر ، تحقيق الأرنؤوط ، (٩ / ٦٣٠) .

بَابُ بُطْلَانِ تَعَدُّدِ الآلِهَةِ

قَالَ اللَّـهُ تَعالَىٰ : ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾ [(١)] ، وقَالَ تعالَىٰ : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [(٢)] .

قَالَ ابنُ سَعْدِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ : «﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ﴾ كَذِبٌ يُعرَفُ بِخَبَرِ اللَّـهِ ، وخَبَرِ رُسُلِهِ ، ويُعرَفُ بالعَقْلِ الصَّحيحِ ، ولِهَـٰذَا نَبَّهَ تَعالَىٰ عَلَىٰ الدَّليلِ العَقليِّ عَلَىٰ امْتِناعِ إِلَهيْنِ فقَالَ : ﴿إِذًا﴾ أي : لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يقُولُونَ ﴿لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ أي : لَانْفَرَدَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الإِلَهيْنِ بِمَخْلُوقَاتِهِ ، واسْتَقلَّ بِهَا ، ولَحَرَصَ عَلَىٰ مُمانَعَةِ الآخَرِ ومُغَالَبتِهِ ، ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ فالغَالِبُ يَكُونُ هُوَ الإِلَهُ ، وإِلَّا فمَعَ التَّمَانُعِ لا يُمكِنُ وُجُودُ العَالَمِ ، ولا يُتصَوَّرُ أَنْ يَنتَظِمَ هَـٰذَا الانْتِظَامِ المُدهِشِ لِلعُقُولِ ، واعتَبِرْ ذَلكَ بِالشَّمسِ والقَمَرِ والكَواكِبِ الثَّابِتَةِ والسَّيَّارَةِ ، فإِنَّهَا مُنذُ خُلِقَت وهِيَ تَجرِي عَلَىٰ نِظَامٍ واحِدٍ ، وتَرتِيبٍ واحِدٍ ، كُلُّهَا مُسَخَّرَةٌ بِالقُدرَةِ ، مُدبَّرَةٌ بِالحِكْمَةِ لِمَصالِحِ

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ٩١ .

(٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٢ .

الخَلقِ كُلِّهِم ، لَيسَت مَقصُورَةً عَلَىٰ مَصلَحَةِ أَحَدٍ دُونَ أَحَدٍ ، ولَنْ تَرَىٰ فيهَا خَـلَلاً ولا تَنَاقُضاً ولا مُعارَضَةً في أَدْنَىٰ تَصَـرُّفٍ ، فَهَلْ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ تَقدِيرَ إِلَـٰهَـينِ رَبَّـيْنِ؟!! ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾»[1] .

وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ﴾ أَي : في السَّمَـٰواتِ والأَرضِ ﴿ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ﴾ في ذَاتِهِمَـا وفَسَـدَ مَنْ فِيهِمَـا مِنَ المَخْلُوقَاتِ ، وبَيَـانُ ذَلِكَ : أَنَّ العَالَـمَ العُلْـوِيَّ والسُّفْلِيَّ عَلَىٰ ما يُرَىٰ فِي أَكمَلِ ما يَكُونُ مِنَ الصَّلاحِ والانْتِظامِ ، الذِي ما فِيـهِ خَلَلٌ ولَا عَيبٌ ولا مُمانَعَـةٌ ولا مُعَارَضَةٌ ، فدَلَّ ذَلكَ عَلَىٰ أَنَّ مُدَبِّرَهُ وَاحِدٌ ، ورَبَّـهُ واحِدٌ ، وإِلَهُهُ واحِدٌ ، فلَوْ كَانَ لَهُ مُدَبِّرانِ ورَبَّانِ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ لاخْتَلَّ نِظَامُهُ ، وتَقوَّضَتْ أَركَانُهُ ، فإنَّهُمَـا يَتمَـانَعَانِ ويَتعارَضَانِ ، وإِذَا أَرادَ أَحَدُهُما تَدبِيرَ شَيءٍ وأَرادَ الآخَرُ عَدَمَهُ ، فإنَّهُ مُحَالٌ وُجُودِ مُرادِهِمَـا مَعاً ، ووُجُودُ مُرادِ أَحَدِهِمَـا دُونَ الآخَرِ يَدُلُّ عَلَىٰ عَجْـزِ الآخَرِ وعَدَمِ اقْـتِدَارِهِ ، واتِّفاقُهُمَـا عَلَىٰ مُرادٍ واحِدٍ في جَمِيعِ الأُمُورِ غَيرُ مُمكِنٍ ، فإذاً ، يَتعَـيَّنُ أَنَّ القَاهِرَ الذِي يُوجَدُ مُرادُهُ وَحْدَهُ مِنْ غَيرِ مُمَـانِعٍ ولَا مُدَافِعٍ هُوَ اللَّـهُ الوَاحِدُ القَهَّـارُ»[2] اهـ .

(١) «تفسير السعدي» ، ص (٥٥٨) .

(٢) «تفسير السعدي» ، ص (٥٢١) .

بَابُ : هَلْ خَلَقَ اللَّـهُ النَّاسَ عَبَـثاً وتَرَكَهُمْ سُدًى؟

قَالَ اللَّـهُ تَعالَىٰ : ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[1]، وقال تَعالَىٰ : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾[2]، وقال تعالَىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾[3]، وقال تَعالَىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾[4]، وقال تعالَىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾[5]، وقال تَعالَىٰ : ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[6]، وقال تَعالَىٰ : ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان : ١١٥ ، ١١٦ .

(٢) سورة القيامة، الآية : ٣٦ .

(٣) سورة الأنبياء، الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

(٤) سورة الدخان، الآيتان : ٣٨ ، ٣٩ .

(٥) سورة الحجر، الآية : ٨٥ .

(٦) سورة الروم، الآية : ٨ .

﴿أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾[1] ، وقال تعالىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[2] .

قَالَ ابنُ كَثيرٍ رحمه الله : «يُخبِرُ تَعالَىٰ أَنَّه مَا خَلقَ الخَلْقَ عَبثاً ، وإِنَّما خَلَقَهُم لِيَعْبُدُوهُ ويُوَحِّدُوهُ ، ثُمَّ يَجمَعُهُم لِيومِ الجَمعِ فَيُثِيبُ المُطِيعَ ويُعَذِّبُ الكَافِرَ ، ولهَـٰذَا قَالَ تَعالَىٰ : ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ أَي : الذِينَ لَا يَرَوْنَ بَعْثاً ولَا مَعاداً ، وإِنَّما يَعتَقِدُونَ هَـٰذِهِ الدَّارَ فَقط ، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ أَي : وَيْلٌ لَهُم يَومَ مَعَادِهِم ونُشُورِهِم مِنْ النَّارِ المُعَدَّةِ لَهُم .

ثُمَّ بَيَّنَ تَعالَىٰ أَنَّهُ مِنْ عَدْلِهِ وحِكْمَتِهِ لَا يُسَاوِي بَيْنَ المُؤمِنِ والكَافِرِ فقَالَ : ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ أَي : لَا نَفْعَلُ ذَلِكَ ولَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّـهِ ، وإِذَا كَانَ الأَمْرُ كَذلِكَ فلَا بُدَّ مِنْ دَارٍ أُخْرَىٰ يُثَابُ فِيهَا هَـٰذَا المُطِيعُ ويُعَاقَبُ فِيها هَـٰذَا الفَاجِرُ .

(١) سورة الأحقاف ، الآية : ٣ .

(٢) سورة ص ، الآيتـان : ٢٧ ، ٢٨ .

وهَـٰذَا الإِرشَادُ يَدُلُّ العُقُولَ السَّلِيمَةَ والفِطَرَ المُستَقِيمَةَ عَلَىٰ أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْ مَعَادٍ وجَزَاءٍ ، فَإِنَّا نَرَىٰ الظَّالِـمَ البَاغِيَ يَزْدَادُ مَالُهُ ووَلَدُهُ ونَعِيمُهُ ويَمُوتُ كَذلِكَ ، ونَرَىٰ المُطِيعَ المَظْلُومَ يَمُوتُ بِكَمَدِهِ ، فَلا بُدَّ فِي حِكْمَةِ الحَكِيمِ العَلِيمِ العَادِلِ الذِي لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِنْصَافِ هَـٰذَا مِنْ هَـٰذَا ، وإِذَا لَـمْ يَقَعْ هَـٰذَا فِي هَـٰذِهِ الدَّارِ ، فتَعـيَّنَ أنَّ هُناكَ دَاراً أُخْرَىٰ لِهَـٰذَا الجَزاءِ والمُواسَـاةِ»[1] اهـ .

(١) «تفسير ابن كثير» ، طبعة قرطبة : (١٢ / ٨٦) .

بَابٌ : لِـمَاذَا لَـمْ يُخَـيِّرِ اللَّـهُ البَشَـرَ قَبْـلَ أَنْ يَخْلُقَهُم؟

قَالَ اللَّـهُ تَعالَىٰ : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (١) .

قَالَ ابنُ كَثيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : «يُخْبِرُ تَعالَىٰ أَنَّهُ المُنفَرِدُ بِالخَلقِ والاِخْتِيَارِ ، وأَنَّهُ لَيسَ لَه في ذَلكَ مُنازِعٌ ، ولا مُعَقِّبٌ ، فقَالَ : ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ﴾ فمَا شَاءَ كَانَ ، ومَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، فَالأُمُورُ كُلُّهَا خَيرُهَا وشَرُّهَا بِيَدِهِ ، ومَرجِعُهَا إِلَيهِ» . اهـ (٢) .

فإِذَا عَلِمْتَ أَنَّ مُشَارَكَةَ غَيرِهِ لَه في الخَلقِ والاخْتِيَارِ يُعتَبرُ نَقصاً في حَقِّهِ ، وعَلِمتَ أَنَّه سُبْحانَه وتَعالَىٰ مُنَزَّهٌ عَن النَّقائِصِ والعُيُوبِ ، لَزِمَكَ أَنْ تَعلَمَ بُطْلَانَ قَولِ : [لِـمَاذَا لَـمْ يُخَـيِّرِ اللَّـهُ البَشَـرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم؟] ، وأَنَّ القَولَ الصَّحيحَ : [مَا الحِكْمَةُ مِنْ خَلْقِهِمْ غَيرَ مَعْصُومِينَ؟] .

---

(١) سورة القصص ، الآيـة : ٦٨ .

(٢) «تفسير ابن كثير» ، طبعة قرطبة : (١٠ / ٤٧٩) .

بَابُ الحِكْمَةِ مِنْ خَلقِ البَشَرِ غَيرَ مَعصُومين

إعلَمْ ـ وَفَّقكَ اللَّـهُ ـ أنَّ المَلائكَةَ لا يَعصُونَ اللَّـهَ مَا أَمَرَهُم ويَفعَلُونَ ما يُؤمَرُونَ ، كمَـا وَصَفَهمُ اللَّـهُ تَعالَىٰ في قَولِهِ : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (١) ، وأَنَّ اللَّـهَ لَـمْ يَخلُقِ البَشَـرَ مِثْلَهُم ، وإنَّمـا تَركَ لَهم الاخْتِيـارَ بَعدَ أَنْ بَيَّنَ لَهم طَريقَ الخَيرِ والشَّـرِّ ، كمَـا قَالَ تَعالَىٰ : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (٢) ، وقَالَ تَعالَىٰ : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ (٣) ، وقَالَ تَعالَىٰ : ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ (٤) ، وذَلِكَ لِحِكَمٍ عَظيمَةٍ بالِغَـةٍ أَرادَهَا اللَّـهُ سُبْحانَه وتَعالَىٰ ، مِنهَا : ظُهُورُ آثارِ كَثيرٍ مِنْ صِفَاتِه العُلَىٰ وأَسمـائِه الحُسنَىٰ في خَلقِهِ ، ولَيسَ كمَـا يَظُنُّ الجَاهِلُ أَنَّ اللَّـهَ فَعَلَ ذَلكَ لِيُعَـذِّبَ البَشَـرَ ، تَعالَىٰ اللَّـهُ عَن ذَلكَ ، فَاللَّـهُ سُبْحانَه وتَعالَىٰ أَرحَمُ الرَّاحِمين ، كمَـا قَالَ : ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٥) ،

---

(١) سورة النحل ، الآيتـان : ٤٩ ، ٥٠

(٢) سورة الشمس ، الآيـات : ٧ ـ ١٠

(٣) سورة الإنسـان ، الآيـة : ٣

(٤) سورة الكهف ، جزء من الآيـة : ٢٩

(٥) سورة يوسف ، جزء من الآيـة : ٦٤

وهُـوَ أَرحَـمُ بِعِـبادِهِ مِنْ الأُمِّ بِوَلَـدِهَـا ، كَمَـا قَـالَ ﷺ : «**لَلَّـهُ أَرْحَمُ بِعِـبَادِهِ مِنْ هَـٰذِهِ بِوَلَدِهَا**» [(١)].

قَالَ ابنُ القَـيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ : «الرَّبُّ تَعالَىٰ يُحِبُّ أَسماءَهُ وصِفاتِهِ ، ويُحِبُّ ظُهُورَ آثَارِها في خَلقِهِ ، فإنَّ ذَلكَ مِنْ لَوازِمِ كمَـالِهِ ، فإذَا كانَ يُحِبُّ العَفوَ والمَغفِرَةَ والحِلْمَ والصَّفْحَ والسِّـتْرَ ، لَـمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ تَقدِيرِهِ لِلأَسـبَابِ التِي تُظْـهِرُ آثارَ هَـٰذِهِ الصِّفاتِ فيها ، ويَسـتَدِلُّ بِهَـا عِـبَادُهُ عَلَىٰ كمَـالِ أسمائِهِ وصِفاتِهِ ، ويَكُونُ ذَلكَ أَدعَىٰ لَهم إلَىٰ مَحَـبَّتِهِ وحَمْـدِهِ وتَمْجِيدِهِ والثَّناءِ عَلَيه بِمَـا هُو أَهلُهُ ، فتَحصُلُ الغَايَةُ التي خَلقَ لَهَا الخَلقَ» [(٢)].

وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «لَوْ كَانَ الخَلقُ كُلُّهُم مُطيعِـينَ عَابِدينَ حامِدينَ لَتعَطَّلَ أَثَرُ كَثـيرٍ مِنْ الصِّفاتِ العُلَىٰ والأَسماءِ الحُسنَىٰ ، وكَيفَ كانَ يَظهَـرُ أَثَرُ صِفَةِ العَفْوِ والمَغفِرَةِ والصَّفْحِ والتَّجاوُزِ والانْتِـقامِ والعِـزِّ والقَهْـرِ والعَـدْلِ والحِكْمَةِ التي تُنزِلُ الأَشـياءَ مَنازِلَهَا وتَضَعُها مَواضِعَها» [(٣)].

وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «مِنْ المَعلُومِ أنَّ الرَّبَّ عَلِمَ أنَّ عِـبادَهُ يَقَعُ مِنهُم الكُفرُ والظُّلمُ والفُسُوقُ ، وكانَ قادِراً أَنْ لَا يُوجِدَهُم ، وأَنْ يُوجِدَهُم كُلَّهُم

(١) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٥٩٩٩) ، «صحيح مسلم» (٢٧٥٤)

(٢) «روضة المحبين» ، طبعة مجمع الفقه ، ص : (١٠٠)

(٣) «شفاء العليل» ، طبعة العبيكان ، ص : (٦٠٨)

أُمَّـةً واحِدَةً عَلَىٰ مَا يُحِبُّ ويَرضَىٰ ، وأَنْ يَحُولَ بَينَهُم وبَينَ بَغْيِ بَعضِهِم عَلَىٰ بَعضٍ ، ولكِنَّ حِكمَتَه البالِغَة أبَتْ ذَلكَ واقْتَضَت إيجادَهُم عَلَىٰ الوَجهِ الذِي هُمْ عَليه ، فمِنْ أَعظَمِ الجَهْلِ والضَّلالِ أَنْ يَقُولَ القَائِلُ : هَلَّا كَانَ خَلقُهُ كُلُّهُم نَوعاً واحِداً ، وقَد يَقَعُ فِي الأَوْهامِ الفاسِـدَةِ أَنَّ هَـٰذَا كانَ أَوْلَىٰ وأَكْمَلَ » (١) .

وقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ : «اللَّـهُ سُبْحانَهُ يُحِبُّ أن يُشْكَرَ ، ويَجِبُ أَنْ يُشكَرَ عَقلًا وشَـرعاً وفِطرَةً ، فوُجُوبُ شُكرِهِ أَظهَرُ مِنْ وُجُوبِ كُلِّ واجِبٍ ، وكَيفَ لا يَجِبُ عَلَىٰ العِبادِ حَمدُهُ وتَوحِيدُهُ ومَحَبَّتُهُ وذِكرُ آلائِهِ وإحسانِهِ وتَعظِيمُهُ وتَكبيرُهُ والخُضُوعُ لَه ، والتَّحدُّثُ بِنعَمِهِ والإِقْرارُ بِها بجَميعِ طُرقِ الوُجُوبِ ، فالشُّـكرُ أَحبُّ شَيءٍ إليه وأَعظَمُ ثَواباً ، ولَه خَلقَ الخَلقَ ، وأَنزَلَ الكُتُبَ ، وشَـرعَ الشَّرائِعَ ، وذَلكَ يَستَلزِمُ خَلقَ الأَسبابِ التي يكُونُ الشُّكرُ بِها أكمَل .

ومِنْ جُملَتِها أنْ فاوَتَ بَينَ عِبادِهِ فِي صِفاتِهِم الظَّاهِرَةِ والباطِنَةِ ، فِي خَلقِهِم وأَخلاقِهِم وأَديانِهِم وأَرزاقِهِم ومَعايِشِهِم وآجالِهِم ، فإذا رَأَىٰ المُعافَىٰ المُبتَلَىٰ ، والغنيُّ الفَقيرَ ، والمُؤمِنُ الكافِـرَ ، عَظُمَ شُكرُهُ لِلَّـهِ ، وعَرفَ قَدرَ نِعمَـتِهِ عَلَيه وما خَصَّهُ بِهِ ، وفَضَّلَهُ بِهِ عَلَىٰ غَيرِه ، فازدادَ شُكراً وخُضُوعاً واعتِرافاً بالنِّعْمَةِ .

---

(١) «شفاء العليل» ، طبعة التوفيقية ، ص : (٤٦٩ ، ٤٧٠)

فإنْ قِيلَ : فقَد كانَ مِنْ المُمكِنِ أنْ يُسَـوِّيَ بَينَهم في النِّعَمِ ويُسَـوِّيَ بَينَهم في الشُّكرِ كمَـا فَعلَ بِالمَلائكَةِ ، قِيلَ : لَوْ فَعلَ ذَلكَ لَكانَ الحاصِلُ مِنْ الشُّكرِ نَوعاً آخَرَ غَيرَ النَّوعِ الحاصِلِ مِنهُ عَلَىٰ هَـٰذَا الوَجهِ ، والشُّكرُ الواقِعُ عَلَىٰ التَّفضِيلِ والتَّخصِيصِ أَعلَىٰ وأَفضَلُ مِنْ غَيرِه ، ولِهَـٰذَا كَانَ شُكرُ المَلائِكَةِ وخُضُوعُهم وذُلُّهم لِعظَمَتِه وجَلالِه بَعدَ أنْ شاهَدُوا مِنْ إبْلِيسَ ما جَرَىٰ لَه ، ومِنْ هارُوتَ ومارُوتَ ما شَاهَدُوهُ أَعلَىٰ وأَكمَلَ مِمَّـا كانَ قَبلَهُ ، وهَـٰذِهِ حِكمَةُ الرَّبِّ تَعالَىٰ ، وكَذلِكَ شُكرُ الأَنبـياءِ عليهم السلام وأَتباعِهِم كانَ بَعدَ أَنْ عايَنُوا هَلاكَ أعدائِهم وانتِقامَ الرَّبِّ مِنهُم وما أَنزَلَ بِهم مِنْ بَأسِـه أَعلَىٰ وأَكمَلَ ، وكَذلكَ شُكرُ أَهلِ الجَـنَّةِ في الجَـنَّةِ وهُم يُشاهِدُونَ أَعداءَهُ المُكَذِّبينَ لِرُسُلِهِ المُشرِكينَ بِهِ في ذَلكَ العَذابِ ، فلا رَيْبَ أنَّ شُكرَهُم حِينَـئذٍ ورِضاهُم ومَحبَّـتَهم لِرَبِّهم أَكمَلُ وأَعظَمُ مِمَّا لَو قُدِّرَ اشْـتِراكُ جَميعِ الخَلقِ في النَّعيمِ ، فَالمَحَـبَّةُ الحاصِلَةُ مِنْ أَوليائِهِ لَهُ ، والرِّضَا والشُّكرُ وهُم يُشاهِدُونَ بَنِي جِنسِهِم في ضِدِّ ذَلكَ مِنْ كُلِّ وَجهٍ أَكمَلُ وأَتَمُّ .

«فَالضِّدُّ يُظْهِـرُ حُسْـنَهُ الضِّـدُّ ، وَبِضِدِّهَا تَتَبَـيَّنُ الْأَشْـيَاءُ» .

ولَوْلَا خَلقُ القَبيحِ لَـمَا عُرِفَت فَضيلَةُ الجَمـالِ والحُسْـنِ ، ولَوْلَا خَلقُ الظَّـلامِ لَـمَا عُرِفَت فَضيلَةُ النُّورِ ، ولَوْلَا خَلقُ أنواعِ البَلاءِ لَـمَا عُرِفَ قَدرُ

العافِيَـةِ ، ولَوْلَا الجَحيمُ لَـمَا عُرِفَ قَدرُ الجَـنَّةِ ، ولَوْ جَعلَ اللَّـهُ سُبْحانَهُ النَّهـارَ سَـرْمَداً لَـمَا عُرِفَ قَدرُهُ ، ولَوْ جَعَلَ اللَّـيلَ سَـرْمَداً لَـمَا عُرِفَ قَدرُهُ ، وأَعرَفُ النَّـاسِ بِقَدرِ النِّعمَةِ مَنْ ذَاقَ البَـلاءَ ، وأَعرَفُهُم بِقَـدرِ الغِنَىٰ مَنْ قاسَىٰ مَرائِرَ الفَقرِ والحاجَةِ ، ولَوْ كَانَ النَّـاسُ كُلُّهم عُلَمَـاءَ لَـمَا عُرِفَت فَضيلَةُ العِلمِ وقَدرُهُ ، ولَوْ كَانُوا كُلُّهم أَغنـياءَ لَـمَا عُرِفَت فَضيلَةُ الغِنَىٰ ، ولَوْ كَانُوا كُلُّهم عَلَىٰ صُورَةٍ واحِدَةٍ مِنْ الجَمَـالِ لَـمَا عُرِفَ قَدرُ الجَمَـالِ ، وكَذلِكَ لَوْ كَانُوا كُلُّهم مُؤمِنـينَ لَـمَا عُرِفَ قَدرُ الإيمَـانِ والنِّعمَةِ بِهِ ، فتَبارَكَ مَنْ لَه في خَلقِهِ وأَمرِهِ الحِكَمُ البَوالِغُ ، والنِّعَمُ السَّــوابِـغُ .

واللَّـهُ سُبْحانَهُ يُحِبُّ أنْ يُعـبَدَ بِأنواعِ العُبُودِيَّةِ ، ومِنْ أَعـلَاها وأَجَلِّها عُـبُودِيَّةُ المُوالَاةِ فِيـهِ والمُعَـادَاةِ فِيـهِ ، والحُبُّ فيـهِ والبُغضُ فيـهِ ، والجِهَـادُ في سَـبيلِهِ ، وبَذلُ مُهَجِ النُّفُوسِ في مَرضاتِهِ ومُعارَضَةِ أَعدائِهِ ، وهَـٰذَا النَّوعُ هُوَ ذُروَةُ سَـنامِ العُـبُودِيَّةِ وأَعلَىٰ مَراتِبَها ، وهُو أَحَبُّ أنواعِهَا إليَـهِ ، وهُوَ مَوقُوفٌ عَلَىٰ مَا لا يَحصُلُ بِدُونِهِ مِنْ خَلقِ الأَرواحِ التي تُوالِيـهِ وتَشكُرُهُ وتُؤمِنُ بِهِ ، والأَرواحِ التي تُعادِيهِ وتَكفُرُ بِهِ ، وتَسْليطِ بَعضِها عَلَىٰ بَعضٍ لِتَحصُلَ بِذَلكَ مَحـابُّه عَلَىٰ أَتَمِّ الوُجُوهِ ، وتَقـرُّبِ أَوليَـائِهِ إليـهِ بِجِهـادِ أَعدائِهِ ومُعارَضَتِهِم فيـه ، وإذْلالِهِم وكَبتِهِم ومُخالفَـةِ سَـبيلِهِم ، فتَعلُو

كَلِمَـتُه ودَعوَتُه عَلَىٰ كَلمَةِ البَاطِلِ ودَعوَتِهِ ، ويَتبَـيَّنُ بِذَلكَ شَـرَفُ عُلُـوِّها وظُهُـورِها ، ولَوْ لَـمْ يَكُنْ لِلبَـاطِلِ والكُفرِ والشِّـركِ وُجُـودٌ ، فعَلَىٰ أَيِّ شَيءٍ كانَت كَلِمَـتُه ودَعـوَتُه تَعلُـو؟ فإنَّ العُلُـوَّ أَمرٌ نِسْـبيٌّ يَستَلزِمُ غالِبـاً ما يُعْلَىٰ عَلَيـه ، وعُلُـوُّ الشَّيءِ عَلَىٰ نَفسِـهِ مُحَـالٌ .

ومِن عُبودِيَّتِـهِ : الصَّدَقَةُ ، والإيثَـارُ ، والمُواسَـاةُ ، والعَفْـوُ ، والصَّفْحُ ، والصَّـبرُ ، وكَظمُ الغَيظِ ، واحتِمَـالُ المَكارِهِ ، ونَحوُ ذَلكَ مِمَّـا لا يَتِمُّ إِلَّا بوُجُودِ مُتعلَّقِهِ وأسـبابِهِ ، فلَوْلَا الظُّلمُ والإسَـاءَةُ والعُدوانُ لَـمْ تَحصُلْ عُـبُودِيَّةُ الصَّبرِ والعَفْـوِ والمَغفِـرَةِ وكَظمِ الغَيظِ ، ولَوْلَا الفَقْـرُ والحاجَةُ لَـمْ تَحصُلْ عُـبُودِيَّةُ الصَّدَقَةِ والإيثارِ والمُواسَـاةِ ، فلَوْ سَـوَّىٰ بَينَ خَلقِهِ جَميعِهِم لتَعطَّلَت هَـٰذِهِ العُـبُودِيَّاتِ التي هِيَ أَحَبُّ شَيءٍ إِلَيـهِ ، ولِأَجْلِهَا خَلَقَ الجِنَّ والإِنْسَ ، ولِأَجْلِهَا شَـرَعَ الشَّـرائعَ ، وأَنزَلَ الكُتُبَ ، وأَرسَلَ الرُّسُلَ ، وخَلَقَ الدُّنيَـا والآخِرَةَ »[1] أهـ .

(١) «شفاء العليل» ، طبعة العبيكان ، ص : (٦١٣ ـ ٦١٦)

بَابُ حَمْلِ الإِنْسَانِ الأَمَانَةَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (١).

قال الواحدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأمانة في هَـٰذِهِ الآية في قول جميعهم: الطاعة والفرائض التي يتعلق بأدائها الثواب وبتضييعها العقاب» (٢) أهـ.

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ﴾ المقصود بالإنسان والعلم عند اللَّهِ: آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد روى الحاكم وقال: «صحيح عَلَىٰ شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾، قَالَ: «قِيلَ لِآدَمَ أَتَأْخُذُهَا بِمَا فِيهَا، فَإِنْ أَطَعْتَ غَفَرْتُ، وَإِنْ عَصَيْتَ حَذَّرْتُكَ؟ قَالَ: قَبِلْتُ، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ حَتَّىٰ أَصَابَ الذَّنْبَ» (٣)، وكذا قال الضحَّاك بن مزاحم وجويبر وابن زيد وغيرهم.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٧٢

(٢) «التفسير البسيط»، تحقيق الطيار، (١٨ / ٣٠٢)

(٣) «المستدرك»، تحقيق مقبل الوادعي، (٢ / ٤٩٦)، حديث رقم (٣٦٣٧)

فالذي عُرِضَت عليه فقبلها وتحمّلَها هو آدم عليه السلام ، ثم تحمَّلَتْها ذرّيّته بعده بالتّبع ، وكذلك لو لـم يُصِب الذَّنب ويأكل من الشجرة لبقت ذرّيّته في الجنّة بالتّبع .

قال اللَّـهُ تعالىٰ : ﴿ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] ، وقال تعالىٰ : ﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعۡرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظۡمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضۡحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ

(١) سورة الأعراف ، الآيات : ١٩ ـ ٢٥

ٱلْجَنَّةَ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ (١) .

وثبت في صحيح مسلم أن آدم عليه السلام يقول للمؤمنين يوم القيامة حين يطلبون منه أن يستفتح لهم الجنة : «وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ» (٢) ، فلو لم يصب الذنب لبقينا في الجنة كما يُفهم من قول موسى عليه السلام : «يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنْ الْجَنَّةِ ، قَالَ لَهُ آدَمُ : يَا مُوسَى اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ ، أَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ ، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَىٰ» (٣) .

رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية لغيرهما : «فَوَاَللَّهِ لَوْلَا مَا فَعَلْتَ مَا دَخَلَ أَحَدٌ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ النَّارَ» (٤) .

---

(١) سورة طه ، الآيات : ١١٧ ـ ١٢٤

(٢) «صحيح مسلم» (١٩٥)

(٣) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٦٦١٤) ، «صحيح مسلم» (٢٦٥٢)

(٤) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» برقم (٢١٦) ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وقال محققه ابن دهيش : إسناده صحيح .

قال ابن حجر رحمه الله : «أَمَّا قَوْلُهُ : «خَيَّبْتَنَا» فَالْمُرَادُ بِهِ الْحِرْمَان ، وَالْمَعْنَىٰ : أَنَّهُ لَو اسْتَمَرَّ عَلَىٰ تَرْكِ الْأَكْلِ مِنْ الشَّجَرَةِ لَـمْ يَخْرُجْ مِنْهَا ، وَلَو اسْتَمَرَّ فِيهَا لَوُلِدَ لَهُ فِيهَا ، وَكَانَ وَلَدُهُ سُكَّانَ الْجَنَّةِ عَلَى الدَّوَامِ»[1] أهـ .

وقال ابن عثيمين رحمه الله : «قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : إن موسى لـم يحتج عَلَىٰ آدم بالمعصية وإنما احتج عليه بالإخراج ، وقال : لِـمَ أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ ولـم يقل : لِـمَ عصيت اللَّـهَ ، فاحتج آدم عليه السلام بأنه قد كُتِبَ علينا هَـٰذَا ، يعني : كُتِبَ أن يفعل وتكون النتيجة أن يخرج من الجنة ، وكأنه يقول : لو علمت أن هَـٰذِهِ النتيجة ما فعلت ، وهَـٰذَا يقع كثيراً : أن الإنسان قد يسافر إِلَىٰ بلدٍ ما ثم يحصل عليه حادث ، فإذا قيل له : لِـمَ سافرت؟ لو لـم تسافر ما حدث هَـٰذَا ، سيقول في نفسه ، ويقول لمن كلّمه : لو عَلِمْتُ بأَنَّ هَـٰذَا سيحدث ما سافرت ، لكن هَـٰذَا أمرٌ كُتِبَ عليَّ أنْ أسافر ويحصل هَـٰذَا الحادث ، وأنا لـم أسافر من أجل الحادث ، فهكذا قضية آدم ، آدم لـم يأكل من الشجرة ليخرج من الجنة ، لكنه لـم يعلم بما ينتج عن أكله من هَـٰذِهِ الشجرة ، فأكل من الشجرة ثم كانت النتيجة أنْ أخرجه اللَّـهُ تَعالَىٰ من الجنَّة ، وهي نتيجة في ظاهرها أنها تسوء الإنسان ، لكن عند التأمّل تجد أن الحكمة في ذلك ، فلولا هَـٰذَا ما

(١) «فتح الباري» ، طبعة بيت الأفكار ، ص : (٢٩٢٤)

عشنا في الأرض ولبقينا هناك، ولاختل نظام العالم الذي أراد اللَّـهُ سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ أن يكون» [1] أهـ.

قال تَعالَىٰ: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾﴾ [2].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلم يزل الشيطان يسوّل لهما، ويُزيّن أكل الشجرة، ويقول: ﴿هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ﴾ أي: الشجرة التي من أكل منها خُلِّد في الجنة، ﴿وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ أي: لا ينقطع إذا أكلت منها، فأتاه بصورة ناصح، وتلطّف له في الكلام، فاغترّ به آدم، وأكلا من الشجرة» [3] أهـ.

وأما قوله تَعالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «ظَلُومٌ مُبَالَغَةٌ فِي الظُّلْمِ وَكَذَلِكَ جَهُولٌ مُبَالَغَةٌ فِي الْجَهْلِ، وَالظُّلْمُ: الِاعْتِدَاءُ عَلَى حَقِّ الْغَيْرِ، وَأُرِيدَ بِهِ هُنَا الِاعْتِدَاءُ عَلَى حَقِّ اللَّـهِ الْمُلْتَزَمِ لَهُ بِتَحَمُّلِ الْأَمَانَةِ، وَهُوَ حَقُّ الْوَفَاءِ بِالْأَمَانَةِ، وَالْجَهْلُ: انْتِفَاءُ الْعِلْمِ بِمَا يَتَعَيَّنُ عِلْمُهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا انْتِفَاءُ عِلْمِ الْإِنْسَانِ بِمَوَاقِعِ الصَّوَابِ

(١) «لقاء الباب المفتوح» (٨١): [حكم الاحتجاج بالقدر علَى المعصية].

(٢) سورة طه، الآية: ١٢٠

(٣) «تفسير السعدي»، ص: (٥١٥)

فِيمَا تَحَمَّلَ بِهِ ، فَقَوْلُهُ : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ مُؤْذِنٌ بِكَلَامٍ مَحْذُوفٍ يَدُلُّ هُوَ عَلَيْهِ ، إِذِ التَّقْدِيرُ : وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ فَلَمْ يَفِ بِهَا إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» [1] أهـ .

والإنسان مخلوقٌ كرّمه اللَّـهُ وفضّله عَلَىٰ كثيرٍ ممن خلق تفضيلا ، فهو الأصلح لحمل هَـٰذِهِ الأمانة .

قال اللَّـهُ تَعالَىٰ : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [2] .

قال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : «وهَـٰذَا من كرمه عليهم ، وإحسانه الذي لا يقادر قدره ، حيث كرّم بني آدم بجميع وجوه الإكرام ، فكرّمهم بالعلم والعقل ، وإرسال الرسل ، وإنزال الكتب ، وجعل منهم الأولياء والأصفياء ، وأنعم عليهم بالنعم الظاهرة والباطنة ، ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ﴾ عَلَىٰ الركاب من الإبل والبغال والحمير والمراكب البرية ، ﴿وَ﴾ في ﴿الْبَحْرِ﴾ في السفن والمراكب ، ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ من المآكل والمشارب والملابس والمناكح ، فما من طيب تتعلق به حوائجهم إلا وقد أكرمهم اللَّـهُ به ، ويسره لهم غاية التيسير ،

---

(١) «التحرير والتنوير» (٢٢ / ١٣٠)

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٧٠

﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ بما خصّهم به من المناقب ، وفضلهم به من الفضائل ، التي ليست لغيرهم من أنواع المخلوقات» [١] أهـ .

باب الحكمة من خلق الشَّرِّ

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «أما السيئة فهو سُبْحانَهُ إنَّما قدّرها وقضاها بحكمة ، وهي باعتبار تلك الحكمة من إحسانه ، فإنَّ الربَّ سُبْحانَهُ لا يفعل سوءاً قط ، كما لا يوصف به ، ولا يسمّى باسمه ، بل فعله كلّه حسن وخير وحكمة ومصلحة ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ [٢] ، وقال أعرف الخلق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ» [٣] ، فهو لا يخلق شرًّا محضاً من كل وجه ، بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة وحكمة ، وإن كان في بعضه شَر جزئي إضافي ، وأما الشر الكلّي المطلق من كل وجه فهو تَعالَىٰ مُنزَّهٌ عنه ، وليس إليه» [٤] أهـ .

---

(١) «تفسير السعدي» ، ص : (٤٦٣)

(٢) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ٢٦

(٣) جزء من حديث الاستفتاح في الصلاة ، رواه مسلم (٧٧١)

(٤) «شفاء العليل» ، طبعة العبيكان ، ص : (٤٨٥)

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : «اللَّـهُ خلق كل شيء الخـيرَ والشَّـرَّ ، ولكن الشرّ لا يُنْسب إليه ؛ لأنه خلق الشر لحكمة ، فعاد بِهَـٰذِهِ الحكمة خيراً ، فكان خيراً ، وعَلَىٰ هَـٰذَا نقول : الشرُّ ليس في فعل اللَّـهِ ، بل في مفعولاته ، أي : مخلوقاته .

ومخلوقات اللَّـهِ تنقسم إِلَىٰ ثلاثة أقسام هي :

١ ـ شَرٌّ محضٌ ؛ كالنّار وإبليس باعتبار ذاتيهما ، أما باعتبار الحكمة التي خلقهما اللَّـهُ من أجلها ؛ فهي خير .

٢ ـ خَيْرٌ محضٌ ؛ كالجنة ، والرسل ، والملائكة .

٣ ـ فيه شَرٌّ وخَيْرٌ ؛ كالإنسِ ، والجنِّ ، والحيوانِ »[1] أهـ .

(١) «مجموع فتاوَىٰ ورسائل ابن عثيمين» ، (٩ / ٢٤٧ – ٢٤٨)

بَابُ إِثْبَاتِ أَنَّ الإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ بِالأَدِلَّةِ العَقلِيَّةِ

إعلم ـ وفقك اللَّهُ ـ أن العقل السليم لا يقبل ديناً يخلو من أحد هَـٰذِهِ الشروط :

١ ـ الإيمان بوجود خالق واحد لهَـٰذِهِ المخلوقات ، كما أثبتنا ذلك في الباب الأول والأبواب التي تليه.

٢ ـ الإيمان بأن الخالق سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ ليس كمثله شيء ، ولا يعتريه نقص بوجه من الوجوه ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (١) ؛ لأن الخالق سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ أحق بكل كمال في الوجود من غير أن يستلزم ذلك نقصاً بوجه ، فلا يُعْقَل أن يكون المخلوق أكمل من خالقه ، أو مماثلاً له ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (٢) ، وقال تَعالَىٰ : ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ (٣) ، فالواجب تنزيه الخالق عن مماثلة المخلوقين ، ومن

(١) سورة النحل ، جزء من الآية : ٦٠

(٢) سورة الشورىٰ ، الآية : ١١

(٣) سورة الإخلاص ، الآية : ٤

باب أولىٰ تنزيهه عن جميع صفات النقص ، فهو سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ ليس من جنس المخلوقات ، لا الملائكة ، ولا الآدميين ، ولا السماوات ، ولا الكواكب ، ولا الهواء ، ولا الأرض ، ولا غير ذلك من المخلوقات ، فلا يجوز أن تكون حقيقة ذاته كحقيقة شيء من ذوات المخلوقين ، ولا حقيقة شيء من صفاته كحقيقة شيء من صفات المخلوقين .

٣ ـ الإيمان بوجود دارٍ أخرى غير هَـٰذِهِ الدَّار للحساب والجزاء ، وليس كما يعتقد منكرو البعث ، وهَـٰذَا أيضًا أثبتناه في باب : «**هَلْ خلق اللَّـهُ الناسَ عَبَثاً وَتَرَكَهُمْ سُدًى؟**» .

٤ ـ الإيمان بأن اللَّـهَ تَعالَىٰ يأمر بالعدل ولا يظلم مثقال ذرة ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾[١] ، وقال تَعالَىٰ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾[٢] ، وأنه لا يُعذّب أحدًا حتى تقوم عليه الحجة بالرسالة ثم يعاندها ، وأما من انقاد للحجة أو لم تبلغه حجة اللَّـهِ تَعالَىٰ فإن اللَّـهَ تَعالَىٰ لا يعذبه ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾[٣] .

٥ ـ الإيمان بوجود رُسُلٍ مُبشِّرين بثواب اللَّـهِ ، ومنذرين بعقابه ؛

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية : ٩٠

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية : ٤٠

(٣) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ١٥

لِئَلَّا يكون للبشر حجة يعتذرون بها بعد إرسال الرسل ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (١) ، ولأن أوامر اللَّـهِ ونواهيه لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الرسل والكتب التي أُنْزِلَتْ عليهم .

٦ ـ الإيمان بأن حجة اللَّـهِ قامت عَلَىٰ جميع الأمم ، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث اللَّـهُ فيها رسولًا ، وأن كلّ الرسل متفقون عَلَىٰ دعوة واحدة ودين واحد ، وهو عبادة اللَّـهِ وحده لا شريك له واجتناب الشرك ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ ﴾ (٢) ، وقال تَعالَىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٣) ، وقال تَعالَىٰ : ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٤) .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٦٥

(٢) سورة النحل ، جزء من الآية : ٣٦

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٥

(٤) سورة آل عمران ، الآية : ٦٤

٧ ـ الإيمـان بعصمة الأنبياء في التبليغ عن اللَّـهِ تَعالَىٰ ، كمـا قال تَعالَىٰ مبيّناً عصمة نبينا محمد ﷺ في التبليغ عنه : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [(١)] ؛ لأنه لا يمكن أن تقوم الحجة عَلَىٰ البشر إلا بعصمة الأنبياء في تبليغهم عن اللَّـهِ تَعالَىٰ .

٨ ـ الإيمـان بأن اللَّـهَ سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ ليس له صاحبة ولا ولد ، كمـا قال تَعالَىٰ : ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾﴾ [(٢)] ، وقال تَعالَىٰ : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ [(٣)] ، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ : «الولد إنمـا يكون مُتَوَلِّداً من شيئين مُتَنَاسِبَيْن ، واللَّـهُ تَعالَىٰ لا يُنَاسِبُهُ ولا يُشَابِهُهُ شيء من خلقه ؛ لأنه خالق كل شيء ، فلا صاحبة له ولا ولد » [(٤)] أهـ .

٩ ـ الإيمـان بجميع الرسل والكتب التي أُنْزِلَتْ عليهم ، وعدم تكذيب أحدٍ منهم ، فأي دين كذّب نبوة رسولٍ واحدٍ ، دلَّت الأدلة عَلَىٰ أنه رسول من عند اللَّـهِ ، فهو دينٌ باطلٌ لتكذيبِـهِ اللَّـهَ سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ .

---

(١) سورة الحاقة ، الآيات : ٤٤ ـ ٤٧

(٢) سورة الإخلاص ، الآيـة : ٣

(٣) سورة الأنعـام ، الآيـة : ١٠١

(٤) «تفسير ابن كثير» ، طبعة قرطبة ، (٦/ ١٢٢) .

١٠ ـ الإيمـان بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ، كما سنثبت نبوته بالأدلة العقلية في باب : «**إثبات نبوة محمد ﷺ بالأدلة العقلية**» ، فمن لـم يؤمن به أو بالقرآن الذي أُنْزِلَ عليه فهو كافر؛ لأنه مكذّب للّـهِ سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ .

١١ ـ وجود أسانيد صحيحة متصلة إِلَىٰ هَـٰذَا النَّبيِّ إذا كانت رسالته حجة عَلَىٰ القرون التي ستأتي من بعده ؛ لاحتمال وجود تحريف وتبديل في دين اللّـهِ ، ولكي يتمكن الباحث من الوصول إِلَىٰ سيرته في أي قرن من القرون وهو مطمئن واثق بأنها سيرته ، وهَـٰذَا لا وجود له اليوم إلا في دين الإسلام ، فقد نُقِلَت إلينا سيرة نبينا محمد ﷺ بالأسانيد الصحيحة المتصلة إليه ، بل ونُقِلَ إلينا كتاب اللّـهِ الذي أُنزل عليه وكثير من الأحاديث النبوية بالتواتر ، كمـا قال المستشرق الفرنسي «موريس بوكاي» : «صحة القرآن التي لا تقبل الجدل تعطي النص مكانة خاصة بين كتب التنزيل ، ولا يشترك مع نص القرآن في هَـٰذِهِ الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد ، ولـم يتعرَّض النص القرآني لأيِّ تحريفٍ من يوم أنْ أُنْزِلَ عَلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ حتى يومنا هَـٰذَا » (١) أهـ .

(١) «القـرآن الكريـم والتـوراة والإنجيـل والعلـم» [دراسـة الكتـب المقدسـة في ضـوء المعـارف الحديثة] ، طبعة مدبولي ، ص (١٥٨) .

قد يقول قائل : ما فائدة هَـٰذِهِ الأسانيد؟ فيقال : لا يمكنك أن تتأكد من صحة أخبار القرون الماضية إلا عن طريق أسانيد صحيحة متصلة إليهم ، أي : لا بد من وجود راوٍ صدوق ضابط لحفظه في كل طبقة من الطبقات التي بينك وبين من تريد معرفة أخباره من أهل القرون الماضية ، فينتقل الخبر عن طريق هؤلاء الرُّواة الثقات إليك أو إِلَىٰ كتب العلماء الثقات الذين أجمعت الأمة عَلَىٰ صحة نسبة كتبهم إليهم ، كصحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما .

ولهَـٰذَا الأمر العظيم صنَّف علماء الجرح والتعديل كتباً تحوي أسماء جميع رواة الحديث وكل ما يتعلق بهم كعدالتهم وضبطهم وأحوالهم وغير ذلك ، فلا يمكن تصحيح أي روايةٍ إلا بعد الرجوع لهَـٰذِهِ الكتب ، وهَـٰذَا لا يوجد في أي دين غير دين الإسلام ، وهو من حفظ اللَّـهِ لكتابه ودينه ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (١) .

وقد يقول آخر: لعلَّ علماء الجرح والتعديل كاذبون في أحكامهم عَلَىٰ الرواة ، فيقال :

أولاً : القرآن الكريم وصل إلينا بالتواتر ، والمتواتر هو ما رواه عدد

(١) سورة الحجر ، الآية : ٩

كثير يستحيل في العادة اتفاقهم عَلَىٰ الكذب ، عن مثلهم إِلَىٰ منتهاه ، وكان مستندهم الحس وهو ما يدرك بالحواس الخمس من مشاهدة أو سماع أو لمس ، كقولهم سمعنا أو رأينا ونحو ذلك ، واحترز المحدِّثون بذلك عمَّا إذا كان إخبارهم عن ظنٍّ وتخمين ، أو كان مستندهم العقل ، فإن ذلك لا يفيد العلم بصحة ما أخبروا به ، ولا يصدق عليه حد التواتر ، والحديث المتواتر يفيد العلم الضروري الذي يضطر الإنسان إِلَىٰ تصديقه تصديقًا جازمًا لا تَرَدُّدَ فيه ، ولذلك يجب العمل به من غير بحث عن رجاله ، وهَـٰذَا بحد ذاته يكفي دليلاً عَلَىٰ أن القرآن الكريم حفظه اللَّـهُ من التحريف والتبديل ، وأنه حجة عَلَىٰ الناس كافة .

ثانياً : لا يمكن عقلًا أن يتفق علماء الجرح والتعديل كلّهم عَلَىٰ إنشاء هَـٰذَا العلم لأجل الكذب عَلَىٰ الرواة ، ما هي الفائدة المترتبة عَلَىٰ هَـٰذَا العمل المتعب الصعب؟! لا توجد فائدة مترتبة تخدم الكاذبين ، بل العكس صحيح ، فإن علم الجرح والتعديل ثمرته تمييز الروايات الصحيحة من الضعيفة والمكذوبة ، وذلك ببيان حال الرواة الصادقين من الرواة الكاذبين ، فلا يُعْقَل أن يتفق الكاذبون عَلَىٰ إنشاء علم يفضح الكاذب ويبين حقيقته للناس! هَـٰذَا أمر مستحيل .

ثم إنه كان يمكنهم الكذب مباشرة دون أن يتعبوا أنفسهم بإنشاء

هَـٰذَا العلم وجمع أسماء جميع الرواة والحكم عليهم، كان يكفيهم إختلاق روايات بأسانيد مكذوبة ثم نشرها بين الناس عَلَىٰ أنها صحيحة إلَىٰ رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، ولن يتمكن أحد من اكتشاف كذبهم لعدم وجود علم الجرح والتعديل!

فإذا علمتَ ـ وفَّقك اللَّـهُ ـ أن علم الجرح والتعديل علم يفضح الكاذبين، وعلمتَ أنه لا يمكن أبداً أن يتفق الكاذبون عَلَىٰ إنشاء مثل هَـٰذَا العلم المحارب للكذب، لزمكَ أن تُقِـرَّ بأن هَـٰذَا العلم أنشأه علمـاء صادقون، ولزمك أيضاً أن تُقِـرَّ بأنهم لن يسمحوا للكاذبين بالدخول في هَـٰذَا العلم، وإنمـا سيحذروا الناس منهم، وبهَـٰذَا يتبين لصاحب العقل السليم أن علم الجرح والتعديل علم محفوظ من عبث العابثين وكذب الكاذبين، وأن اللَّـهَ تَعالَىٰ سخَّره لحفظ كتابه وسنة نبيه ﷺ.

والإسناد خصيصةٌ فاضلةٌ لأمة محمَّد ﷺ، ليست لغيرها من الأمم، قال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما نقله الثقة عن الثقة حتى يبلغ إلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهَـٰذَا الشأن، والحمد للَّـهِ ربِّ العالمين، وهَـٰذَا نقلٌ خصَّ اللَّـهُ تَعالَىٰ به المسلمين دون سائر أهل الملل كلّها.

وشيء نقله أهل المشرق والمغرب أو الكافة أو الواحد الثقة ، عن أمثالهم إِلَىٰ أن يبلغ من ليس بينه وبين النَّبيِّ ﷺ إلا واحد فأكثر ، فسكت ذلك المبلوغ إليه عمَّن أخبره بتلك الشريعة عن النَّبيِّ ﷺ ، فلم يعرف من هو، فهَـٰذَا نوعٌ يأخذ به كثيرٌ من المسلمين ، ولسنا نأخذ به البتَّـة ، ولا نضيفه إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ ، إذا لـم نعرف من حدّث به عن النَّبيِّ ﷺ .

ومن هَـٰذَا النوع كثير من نقل اليهود ، بل هو أَعلَىٰ ما عندهم ، إِلَّا أنهم لا يقربون فيه من موسىٰ كقربنا فيه من محمد ﷺ ، بل يقفون ولا بد ، حيث بينهم وبين موسى عليه السلام أزيد من ثلاثين عصراً في أزيد من ألفٍ وخَمْسِمِائَةِ عامٍ ، وإنمـا يبلغون بِالنَّقْل إِلَىٰ هلال وشماني وشمعون ومرعقيما وأمثالهم ، وأمَّا النَّصارى فليس عندهم من صفة هَـٰذَا النقل إلا تحريم الطلاق وحده فقط ، عَلَىٰ أَنَّ مخرجه من كَذَّابٍ قد صَحَّ كذبه .

وأما النقل بالطريق المشتملة عَلَىٰ كذَّابٍ ، أو مجهول العين ، فهو صفة جميع نقل اليهود لشرائعهم التي هم عليها الآن ممّا ليس في التوراة ، وهو صفة جميع نقل النَّصارى حاشى تحريم الطَّلاق ، إلا أن اليهود لا يمكنهم أن يبلغوا في ذلك إِلَىٰ صاحب نبيٍّ أصْلاً ، ولا إِلَىٰ تابعٍ له ،

وأَعلَىٰ من يقف عنده النَّصارى شمعون ثم بولس ثم أساقفهم عصراً عصراً ، هَـٰذَا أمر لا يقدر أحد منهم عَلَىٰ إِنْكَارِه ، ولا إِنْكَارِ شيءٍ منه ، إِلَّا أَن يَدَّعِي أحد منهم كذبًا عِنْد من يطْمع فِي تجويزه عَلَيْهِ ، مِمَّن يظنّ بِهِ جهلاً بِمَـا عِنْده فَقَط ، وأما إِذا قرَّرهم عَلَىٰ ذَلِك من يَدْرُون أَنه يعرف كتبهم ، فلا سَبِيل لَهُم إِلَى إِنْكَاره أصلاً » [(١)] أهـ .

ومن دلائل اهتمام هَـٰذِهِ الأمة بالإسناد ورجال الإسناد ، ما قاله عبد اللَّـهِ بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ : «**الْإِسْنَادُ مِنَ الدِّينِ، وَلَوْلَا الْإِسْنَادُ لَقَالَ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ**» [(٢)] ، وما قاله أبو عبد اللَّـهِ الحاكم رَحِمَهُ اللَّهُ : «**فَلَوْلَا الْإِسْنَادُ وَطَلَبُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ لَهُ وَكَثْرَةُ مُوَاظَبَتِهِمْ عَلَى حِفْظِهِ لَدَرَسَ مَنَارُ الْإِسْلَامِ ، وَلَتَمَكَّنَ أَهْلُ الْإِلْحَادِ وَالْبِدَعِ فِيهِ بِوَضْعِ الْأَحَادِيثِ ، وَقَلْبِ الْأَسَانِيدِ ، فَإِنَّ الْأَخْبَارَ إِذَا تَعَرَّتْ عَنْ وُجُودِ الْأَسَانِيدِ فِيهَا كَانَتْ بُتْرًا**» [(٣)] .

١٢ ـ الإيمـان بأن أكرم الناس عند اللَّـهِ أتقاهم ، وهو أكثرهم طاعةً وانكفافًا عن المعاصي ، لا أكثرهم قرابةً وقوماً ، ولا أشرفهم

---

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» ، طبعة صبيح ، (٢/ ٦٨ ـ ٧٠) .

(٢) مقدمة «صحيح مسلم» .

(٣) «معرفة علوم الحديث» طبعة دار المعارف ، ص (١١٨ ـ ١١٩) .

نسباً ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣﴾ [1] ، وكما قال رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ : «مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَـمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» [2] ، وقال ﷺ : «إِنَّ أَنْسَابَكُمْ هَـٰذِهِ لَيْسَتْ بِسِبَابٍ عَلَى أَحَدٍ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ وَلَدُ آدَمَ ، طَفُّ الصَّاعِ لَـمْ تَمْلَؤُوهُ ، لَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ إِلَّا بِالدِّينِ أَوْ عَمَلٍ صَالِحٍ» [3] ، ولا يخفى عَلَىٰ عاقلٍ أن تقديم الشريف العاصي عَلَىٰ الضعيف التقي يُعتبر ظُلْماً ، واللَّـهُ سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ مُنَزَّهٌ عن الظلم .

وبناءً عَلَىٰ ما تقدَّم فإن دين الإسلام هو دين اللَّـهِ ؛ لأنه الدين الوحيد الذي جمع ما اشترطنا وجوده في الدين الصحيح ، فإن قيل : ربما يوجد دين آخر غير دين الإسلام خفي عليكم قد توفرت فيه هَـٰذِهِ الشروط ، فيقال : إن نبي هَـٰذَا الدين إما أن تكون نبوته قبل نبوة محمد ﷺ وإمَّا بعدها .

---

(١) سورة الحجرات ، الآية : ١٣

(٢) «صحيح مسلم» (٢٦٩٩) .

(٣) رواه أحمد ، وصححه الألباني لغيره «صحيح الترغيب والترهيب» ، طبعة المعارف ، (٣/ ١٣٤) ، حديث رقم (٢٩٦٢) .

فإن كانت بعدها : فإمَّا أن يكون مؤمناً أو غير مؤمنٍ بنبوة محمد ﷺ ، فإن كان غير مؤمن بها فهو كذَّابٌ دجَّالٌ مُدَّعي النبوة ؛ لأنه أنكر نبوة نبي سبقه قد ثبتت نبوته بالعقل كما بيَّنَّا في الشروط السابقة ، ولا يمكن لنبي صادق مرسل من عند اللَّـهِ أن يُنكر نبوة غيره من الأنبياء والمرسلين ، وأَمَّا إن كان مؤمناً بنبوة محمد ﷺ ولا بد ، فحينها يُنْظَرُ في الدين الذي أوحاه اللَّـهُ إِلَىٰ محمد ﷺ ، هل بشَّر بنبيٍّ يأتي من بعد محمد ﷺ أم ذكر أنه لا نبي بعده؟

ففي القرآن الكريم: قال اللَّـهُ تَعالَىٰ : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ [1] ، فهَـٰذِهِ الآية دليل عَلَىٰ أنَّ محمدًا ﷺ خاتم النبيين ـ أي : آخرهم ـ فلا نبي بعده ، وأما في السُّـنَّة : فقد تواتر عنه ﷺ أنه قال : «لَا نَبِيَّ بَعْدِي» [2] أهـ .

بل وحدَّد النَّبيُّ ﷺ عدد الكذَّابين الذين سيدَّعون النبوة بعده حيث قال : «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّـهِ ، وَأَنَا خَـاتَمُ النَّبِيين لَا نَبِيَّ بِعْـدِي» [3] ، قال الألبـانيُّ رَحِمَهُ اللَّـهُ :

---

(١) سورة الأحزاب ، الآيـة : ٤٠

(٢) صححه الألباني ، وقال : «صحيح متواتر» . «إرواء الغليل» ، طبعة المكتب الإسلامي (٨/ ١٢٧) ، حديث رقم (٢٤٧٣) .

(٣) «سُنن أبي داود» ، (٤٢٥٢) ، وصححه الألباني .

«اعلم أن من هؤلاء الدّجّالين الذين ادّعوا النبوة ميرزا غلام أحمد القادياني الهندي ، الذي ادَّعىٰ في عهد استعمار البريطانيين للهند أنه المهدي المنتظر ، ثم إنه عيسىٰ عليه السلام ، ثم ادَّعىٰ أخيراً النبوة ، واتَّبَعَهُ كثيرٌ ممن لا علم عنده بالكتاب والسُّـنَّة»[(١)] أهـ .

وأما إن كانت نبوة هَـٰذَا النبي ـ الذي توفرت في دينه الشروط السابقة ـ قبل نبوة نبينا محمد ﷺ ، فإما أنه بشَّـر بنبوة محمد ﷺ ، وإما سكت عنها ، وإما حذَّر منها ، ففي الحالة الأولى والثانية لا يوجد تعارض بين نبوته ونبوة محمد ﷺ ، فيجب عَلَىٰ الناس إتّباع دين الإسلام الذي دعى إليه محمد ﷺ ؛ لأنه امتداد لدين اللَّـهِ الذي شرعه للبشر من قديم الزمان وناسخ لـما قبله من الشرائع ، فلا يقبل من أحـد دين غيره بعد بعثة محمد ﷺ ، كمـا قال تَعالَىٰ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[(٢)] ، وقال تَعالَىٰ : ﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ۚ ﴾[(٣)] ، وقال تعالَىٰ :

(١) «السلسلة الصحيحة» ، (١٦٨٣) .

(٢) سورة آل عمران ، الآيـة : ٨٥

(٣) سورة المائدة ، جزء من الآيـة : ٣

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴾ (١) ، وقال تعالَىٰ : ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ٤١ ﴾ (٢) ، وقال تعالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ٤٧ ﴾ (٣) ، فأهل الكتاب مأمورون بالإيمان بمحمد ﷺ ، وبالكتاب الذي أُنْزِلَ عليه ، وألّا يسارعوا إلَىٰ الكفر به ، فيصبحوا أول الكافرين ، وكان ينبغي أن يكونوا أول المؤمنين ، ولا يُحكَم عليهم بالكفر إلا إذا كانت الشريعة الإسلامية ناسخة لشرائعهم .

وقد أخذ اللّٰـهُ تعالَىٰ الميثاق عَلَىٰ كل نبي أن يؤمن بمحمد ﷺ ، وأخذ الميثاق عَلَىٰ أمم الأنبياء بذلك ، كما قال تعالَىٰ : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية : ١٩

(٢) سورة البقرة ، الآيتان : ٤٠ ، ٤١

(٣) سورة النساء ، الآية : ٤٧

قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [1]، وقال رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيّاً، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي» [2]، وقال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَـٰذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَـمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ» [3].

وأما في الحالة الثالثة وهي أنه قد ظهر نبي قبل بعثة محمد ﷺ حذّر من نبوته، فهَـٰذِهِ الحالة لا وجود لها البتَّـة، وإن زعم أحد وجودها فلا بد من وجود خلل في إنزال الشروط السابقة عَلَىٰ دين هَـٰذَا النبي المزعوم.

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٨١، ٨٢.

(٢) رواه أحمد، وحسَّنه الألباني، «إرواء الغليل»، طبعة المكتب الإسلامي، (٦/ ٣٤)، حديث رقم (١٥٨٩).

(٣) «صحيح مسلم» (١٥٣).

بابٌ : دَعوَةُ الإسلامِ إلَىٰ تَوحِيدِ اللَّـهِ
دَليـلٌ عَقليٌّ يُثْبِتُ أنَّ الإسلامَ دِينُ اللَّـهِ وأنَّ مُحمَّداً رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ

إعلم ـ وفقك اللَّـهُ ـ أنه لا يُعْقَل أن يستحق العبادة ومشاركة اللَّـهِ تَعالَىٰ في ألوهيته مخلوق عاجز عن إحياء الموتى لمحاسبتهم ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ ﴾ (١) ، وقال تَعالَىٰ : ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣ ﴾ (٢) ، بل عاجز عن خلق ذُبَابٍ وَاحِدٍ ولو جمع معه كلّ ما يُعْبَدُ من دون اللَّـهِ ، كما قال تَعالَىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٧٤ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية : ٢١

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٣

(٣) سورة الحج ، الآيتان : ٧٣ ، ٧٤

ومما يدلُّ عَلَىٰ صحة التوحيد وبطلان الشرك أنَّ المشركين لا يرضون مساواة مماليكهم لهم ، فكيف يرضون أن يجعلوا للَّـهِ شريكاً من خلقه يجعلونه بمنزلته ، وعديلاً له في العبادة؟! كما قال تَعالَىٰ : ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] ، هَـٰذَا من أعجب الأشياء ، ومن أدلِّ شيءٍ عَلَىٰ سَفَهِ من اتخذ شريكًا مع اللَّـهِ ، وأن ما اتخذه باطلٌ مُضْمَحِلٌ ليس مساويًا للَّـهِ ، ولا له من العبادة شيء [2] .

ومما يدل أيضاً عَلَىٰ صحة التوحيد وبطلان الشرك ما ذكره اللَّـهُ تَعالَىٰ في قوله : ﴿ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [3] ، «ضرب اللَّـهُ مثلاً بيَّن فيه فساد عقيدة أهل الشرك : رجلاً مملوكاً عاجزاً عن التّصرف لا يملك شيئاً ، ورجلاً آخر حرّاً له مال حلال رزَقَه اللَّـهُ به ، يملك التّصرف فيه ، ويعطي منه في الخفاء والعلن ، فهل يقول

---

(١) سورة الروم ، الآيـة : ٢٨

(٢) «تفسير السعدي» ، بتصرُّف ، ص (٦٤٠) .

(٣) سورة النحل ، الآيـة : ٧٥

عاقل بالتساوي بين الرجلين؟ فكذلك اللَّـهُ الخالق المالك المتصرف لا يستوي مع خلقه وعبيده ، فكيف تُسَوُّون بينهما؟» [١] .

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : «من أعجب العجائب وأدل الدليل عَلَىٰ سفههم ونقص عقولهم ، بل أدل عَلَىٰ ظلمهم وجراءتهم عَلَىٰ ربهم أن اتخذوا آلهة بِهَـٰذِهِ الصفة ، في كمال العجز ، أنها لا تقدر عَلَىٰ خلق شيء بل هم مخلوقون ، بل بعضهم مما عملته أيديهم ، فأعظم أحكام العقل بطلان إلهيتها وفسادها ، وفساد عقل من اتخذها آلهة وشركاء للخالق لسائر المخلوقات من غير مشاركة له في ذلك ، الذي بيده النفع والضر ، والعطاء والمنع ، الذي يحيي ويميت ويبعث من في القبور ، ويجمعهم ليوم النشور ، وقد جعل لهم دارين دار الشقاء والخزي والنكال لمن اتخذ معه آلهة أخرى ، ودار الفوز والسعادة والنعيم المقيم لمن اتخذه وحده معبوداً .

ولـما قرَّر بالدليل القاطع الواضح صحة التوحيد وبطلان ضده ، قرَّر صحة الرسالة وبطلان قول من عارضها واعترضها» [٢] أهـ .

---

(١) «التفسير الميسر» ، نخبة من العلماء ، ص (٢٧٥) .

(٢) «تفسير السعدي» ، ص (٥٧٧ ـ ٥٧٨)

باب إثبات نبوة مُحَمَّدٍ ﷺ بالأدلة العقلية

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ : «قال في إثبات نبوة رسوله باعتبار التأمل لأحواله وتأمل دعوته وما جاء به : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [1] ، فدعاهم سُبْحانَهُ إِلَىٰ تدبّر القول ، وتأمل حال القائل ، فإن كون القول للشيء كذباً وزوراً يعلم من نفس القول تارة ، وتناقضه واضطرابه وظهور شواهد الكذب عليه ، فالكذب باد عَلَىٰ صفحاته وباد عَلَىٰ ظاهره وباطنه ، ويعرف من حال القائل تارة ، فإن المعروف بالكذب والفجور والمكر والخداع لا تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله ، ولا يتأتّى منه من القول والفعل ما يتأتّى من البار الصادق المبرَّأ من كل فاحشة وغدر وكذب وفجور ، بل قلب هَـٰذَا وقصده وقوله وعمله يشبه بعضه بعضاً ، وقلب ذلك وقوله وعمله وقصده يشبه بعضه بعضاً ، فدعاهم سُبْحانَهُ إِلَىٰ تدبُّر القول ، وتأمّل سيرة القائل وأحواله ، وحينئذ تتبيّن لهم حقيقة الأمر ، وأنّ ما جاء به في أَعلَىٰ مراتب الصدق» [2] أهـ .

---

(١) سورة المؤمنون ، الآيات : ٦٨ ـ ٧٠

(٢) «الصواعق المرسلة» ، طبعة العاصمة ، ص (٤٦٩ ـ ٤٧٠) .

وقال ابن تيمية رحمه الله : «قال تعالىٰ : ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [(١)]، بيّن سُبْحانَهُ من حاله ما يعلمه العامة والخاصة ، وهو معلومٌ لجميع قومه الذين شاهدوه ، متواترٌ عند من غاب عنه وبلغته أخباره من جميع الناس : أنه كان أمّـيّاً لا يقرأ كتاباً ، ولا يحفظ كتاباً من الكتب ، لا المنزَّلة ولا غيرها ، ولا يقرأ شيئاً مكتوباً ، لا كتاباً منزَّلاً ولا غيره ، ولا يكتب بيمينه كتاباً ، ولا ينسخ شيئاً من كتب الناس ، المنزَّلة ولا غيرها .

ومعلوم أنَّ من يعلم من غيره إما أن يأخذ تلقيناً وحفظاً ، وإما أن يأخذ من كتابه ، وهو لـم يكن يقرأ شيئاً من الكتب من حفظه ، ولا يقرأ مكتوباً ، والذي يأخذ من كتاب غيره إمَّا أن يقرأه ، وإمَّا أن ينسخه ، وهو لـم يكن يقرأ ولا ينسخ» [(٢)] أهـ .

وقال محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : «قوله تَعالَى : ﴿ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [(٣)]، في هَٰذِهِ الآية الكريمة حجة واضحة عَلَىٰ كفار مكة ؛ لأن النَّبيَّ ﷺ لم يبعث

(١) سورة العنكبوت ، الآيـة : ٤٨

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» ، طبعة العاصمة ، (٥/ ٣٣٨ـ ٣٣٩) .

(٣) سورة يونس ، جزء من الآيـة : ١٦

إليهم رسولاً حتى لبث فيهم عمراً من الزّمن ، وقُدِّرَ ذلك أربعون سنة ، فعرفوا صدقه وأمانته وعدله ، وأنه بعيد كل البعد من أن يكون كاذباً عَلَىٰ اللَّـهِ تَعالَىٰ ، وكانوا في الجاهلية يسمُّونه الأمين ، وقد ألقمهم اللَّـهُ حجراً بهَـٰذِهِ الحُجَّة في موضع آخر ، وهو قوله : ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [1] ، ولذا لـمَّا سأل هرقل ملك الرّوم أبا سفيان ومن معه عن صفاته ﷺ ، قال هرقل لأبي سفيان : «**هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟**» ، قال أبو سفيان : «**فقلت : لا**» ، وكان أبو سفيان في ذلك الوقت زعيم الكفار ورأس المشركين ، ومع ذلك اعترف بالحق ، والحقُّ ما شهدت به الأعداء ، فقال له هرقل : «**فقد أعرف أنَّهُ لـم يكن لِيَدَعَ الكذب عَلَىٰ الناس ، ثم يذهب فيكذب عَلَىٰ اللَّـهِ**» [2] أهـ .

وقال ابن تيمية رحمه الله : «كان يخبرهم بالأمور الماضية خبراً مفصّلاً ، لا يعلمه أحدٌ إلا أن يكون نبيّاً ، أو من أخبره نبي ، وقومه يعلمون أنه لـم يخبره بذلك أحد من البشر ، وهَـٰذَا مما قامت به الحجة عليهم ، وهم مع قوة عداوتهم له وحرصهم عَلَىٰ ما يطعنون به عليه ، لـم يمكنهم أن يطعنوا طعناً يقبل منهم ، وكان علم سائر الأمم بأنَّ قومه المعادين له ،

(١) سورة المؤمنون ، الآيـة : ٦٩

(٢) «أضـواء البيـان» ، طبعة مجمـع الفقـه ، (٢/ ٥٦٣ ـ ٥٦٤)

المجتهدين في الطعن عليه ، لـم يمكنهم أن يقولوا : إن هَـٰذِهِ الغيوب علَّمها إيَّـاهُ بشـرٌ ، فوجب عَلَىٰ جميع الخلق أنَّ هَـٰذَا لـم يعلّمه إيّاه بشَـرٌ ؛ ولهَـٰذَا قال تَعالَىٰ : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَـٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [1] ، فأخبر أنه لـم يكن يعلم ذلك هو ولا قومه ، وقومه تقر بذلك» [2] أهـ .

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ : «من وجوه إعجاز القرآن : ما تضمّنه من الأخبار بالمغيبات قبل أن يحيط أحد من البشر بعلمها ، وبوقوع كائنات قبل وجودها ، وذلك أمر لا يُتوصّل إلَىٰ العلم به إلا من جهة الصادقين الذين يخبرون عن اللَّـهِ تَعالَىٰ ، ونحن نذكر منها مواضع عَلَىٰ شرط التقريب والإختصار تغني عن التطويل والإكثار ، فمن ذلك قوله تَعالَىٰ : ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ﴾ [3] ، فهَـٰذِهِ الآية من أوضح معجزاته ﷺ ؛ وذلك أن اللَّـهَ تَعالَىٰ وعده بأن يدخله المسجد الحرام هو وقومه في حالة أمن ، ويفتح عليهم مكة عَلَىٰ أحسن حال ، فما زالوا ينتظرون ذلك حتى بلغ وقته ، وصدق وعده ، فدخلوا كمـا وعدهم ، وفتحوه عَلَىٰ ما أخبرهم» [4] أهـ .

---

(١) سورة هود ، الآيـة : ٤٩

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» ، طبعة العاصمة (١/ ٤٠٣) .

(٣) سورة الفتح ، جزء من الآيـة : ٢٧

(٤) «الإعـلام بمـا في دين النصارَىٰ من الفسـاد والأوهام» ، طبعة التراث ، ص (٣٣٧) .

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ : «الصواب المقطوع به أنَّ الخلق كلهم عاجزون عن معارضته ، لا يقدرون عَلَىٰ ذلك ، ولا يقدر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفسه من تلقاء نفسه عَلَىٰ أنْ يُبَدِّلَ سورةً من القرآن ، بل يظهر الفرق بين القرآن وبين سائر كلامه لكل من له أدنى تدبّر ، كما قد أخبر اللَّهُ به في قوله : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾[1] ، وأيضاً فالناس يجدون دواعيهم إلَىٰ المعارضة حاصلة ، لكنهم يحسّون من أنفسهم العجز عن المعارضة ، ولو كانوا قادرين لعارضوه .

وقد انْتَدَبَ غير واحدٍ لمعارضته ، لكن جاء بكلام فضح به نفسه ، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله ، مثل قرآن مسيلمة الكذاب ، كقوله: (يا ضفدع بنت ضفدعين ، نِقِّي كم تَنِقِّين ، لا الماء تكدّرين ، ولا الشّارب تمنعين ، رأسك في الماء ، وذنبك في الطّين)»[2] أهـ .

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ : «قال تَعالَىٰ : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا

---

(١) سورة الإسراء ، الآية : ٨٨

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح» ، طبعة العاصمة ، (٥/ ٤٣١ ـ ٤٣٢) .

﴿ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾[1]، وهَـٰذَا دليل عقلي عَلَىٰ صدق رَسُولِ اللَّـهِ ﷺ، وصحة ما جاء به، فقال: ﴿وَإِن كُنتُمۡ﴾ معشر المعاندين للرسول، الرادّين دعوته، الزاعمين كذبه في شك واشتباه مما نزّلنا عَلَىٰ عبدنا، هل هو حق أو غيره؟ فهاهنا أمر نَصَفٌ فيه الفَيْصَلَة بينكم وبينه، وهو أنه بشر مثلكم، ليس بأفصحكم ولا بأعلمكم، وأنتم تعرفونه منذ نشأ بينكم لا يكتب ولا يقرأ، فأتاكم بكتابٍ زعم أنه من عند اللَّـهِ، وقلتم أنتم أنه تقوَّله وافتراه، فإن كان الأمر كما تقولون، فأتوا بسورةٍ من مِثْلِه، واستعينوا بمن تقدرون عليه من أعوانكم وشهدائكم، فإنَّ هَـٰذَا أمرٌ يسيرٌ عليكم، خصوصاً وأنتم أهل الفصاحة والخطابة والعداوة العظيمة للرّسول، فإن جئتم بسورة من مثله فهو كما زعمتم، وإن لـم تأتوا بسورة من مثله، وعجزتم غاية العجز، ولن تأتوا بسورة من مثله، ولكن هَـٰذَا التقييم عَلَىٰ وجه الإنصاف والتّنزل معكم، فهَـٰذَا آية كبرى، ودليلٌ واضحٌ جليٌّ عَلَىٰ صدقه وصدق ما جاء به، فيتعين عليكم اتّباعه، واتّقاء النّار التي بلغت في الحرارة العظيمة والشدّة أن كانت وقودها الناس والحجارة، ليست كنار الدنيا التي إنَّما تتّقد بالحطب، وهَـٰذِهِ النار الموصوفة معدّة ومهيّأة للكافرين باللَّـهِ ورسله، فاحذروا الكفر برسوله بعد ما تبيّن لكم أنه رسول اللَّـهِ»[2] أهـ.

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٣، ٢٤

(٢) «تفسير السعدي»، ص ٤٥ ـ ٤٦

باب: رسالة مُحمَّدٍ ﷺ إلَىٰ النَّـاسِ كافَّة

قال اللَّـهُ تَعالَىٰ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[1] ، وقال تَعالَىٰ : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[2] ، وقال تَعالَىٰ : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾[3] .

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّـهِ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»[4] .

---

(١) سورة سبأ ، جزء من الآية : ٢٨

(٢) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ١٥٨

(٣) سورة الفرقان ، الآية : ١

(٤) متفق عليه : «صحيح البخاري» (٤٣٨) ، «صحيح مسلم» (٥٢١) .

بابُ مَنهَجِ التَّعَـامُلِ مع النَّقـلِ والعَقـلِ

إِعلَم ـ وفَّقكَ اللَّـهُ ـ أنَّه يَجِبُ العَملُ بِالقَواعِدِ التَّالِيَـة لِفَهمِ القُرآنِ والسُّـنَّةِ فَهْمـاً صَحيحاً :

الأُولَىٰ : النقل الصحيح لا يُعارِضُ العقلَ الصريح ، فيجب درء التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل .

الثَّـانية : إنْ تعارض النقلُ والعقل في الظاهر ، قُدِّمَ النَّقلُ عَلَىٰ العقل ؛ لأنَّ النَّقلَ عِلمُ الخالق الكامل ، والعقل عِلمُ المَخلُوق القاصر .

الثَّالثة : يجب إتِّباع الوَحي من الكتاب والسُّـنَّة ، وعدم الاستغناء عنهما بالعقل وَحدَه ، والذي يزعم الاهتداء إلَىٰ اللَّـهِ بعقله المجرَّد بلا وحي ، هو كمن يزعم الاهتداء إلَىٰ الطريق بعينه المجرّدة بلا ضياء ، كلٌّ منهمـا جاحدٌ لضروري ، فالأول بلا بصيرة ، والثاني بلا بصر ، كمـا قال تَعالَىٰ : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [1] .

(١) سورة الحج ، جزء من الآيـة : ٤٦

الرَّابعَة : أحكام الإسلام يُسَيِّجُها النقل الصحيح ، ويُسدِّدُها العقل الصريح .

الحَمدُ للَّـهِ الذي هَدانا لهـٰذا وما كُنَّا لنهتدي لَولا أنْ هَدانا اللَّـهُ ، اللَّهُمَّ صلِّ علَىٰ مُحمَّدٍ وعلَىٰ آل مُحمَّدٍ ، كما صليت علَىٰ إبراهيمَ وعلَىٰ آل إبراهيمَ ، إنَّك حَميدٌ مَجيدٌ ، وبارِك علَىٰ مُحمَّدٍ وعلَىٰ آل مُحمَّدٍ ، كما بارَكت علَىٰ إبراهيمَ وعلَىٰ آل إبراهيمَ ، إنَّك حَميدٌ مَجيدٌ .

الفهرس

المقدمة ٥

بَابُ إِثْبَاتِ وُجُودِ الخَالِقِ عَزَّ وجَلَّ ٧

بَابُ بُطْلَانِ قَولِ : مَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ ٩

بَابُ بُطْلَانِ تَعَدُّدِ الآلِهَةِ ١١

بَابٌ : هَلْ خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ عَبَثاً وتَرَكَهُمْ سُدًى؟ ١٣

بَابٌ : لِمَاذَا لَمْ يُخَيِّرِ اللَّهُ البَشَرَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُم؟ ١٦

بَابُ الحِكْمَةِ مِنْ خَلقِ البَشَرِ غيرَ مَعصُومين ١٧

بَابُ حَملِ الإنْسَانِ الأَمَانَةَ ٢٣

بابُ الحكمة من خلق الشَّرِّ ٢٩

بَابُ إِثْبَاتِ أَنَّ الإِسْلَامَ دِينُ اللَّهِ بِالأَدِلَّةِ العَقلِيَّةِ ٣١

بَابٌ : دَعوَةُ الإسلام إِلَىٰ تَوحِيدِ اللَّهِ دَلِيلٌ عَقلِيٌّ يُثْبِتُ أَنَّ الإسلامَ دِينُ اللَّهِ وأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ٤٦

بابُ إثبات نبوة مُحَمَّدٍ ﷺ بالأدلة العقلية ٤٩

باب: رسالة مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ النَّاسِ كافَّة ٥٥

بابُ مَنهَج التَّعامُل مَع النَّقلِ والعَقل ٥٦

الفهرس ٥٨

التجهيز والإخراج

050 457 4270

hamzawi999@hotmail.com

رقم الإيداع: ٨٥٣٦ / ٢٠٢٤
الرقم المعياري الدولي: ٨-٨٤٦-٠-٩٩٩٩٢-٩٧٨

حقوق الطبع متاحة لكل مسلم

050 457 4270
hamzawi999@hotmail.com